ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Waist Journal for Human Sciences

Journal Homepage: https://wjfh.uowasit.edu.iq/index.php/wjfh/en

Research article

Submission in the Holy Qur'an between Choice and Coercion: A Linguistic and Semantic Study

Lect. Dr. Ali Kadhim Hussein

University of Wasit, College of Education, Iraq

ARTICLE INFO

Keywords: Holy Qur'an, Language, Coercion, Semantics, Humility

***Correspondence author*:**

Aliwasaty@gmail.com

Received: 12 **October** 2026
Revised: 12 **November** 2026
Accepted: 12 **November** 2026
Published: 25 **November** 2026

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

***Cite*:**

Hussein, A. K. (2026). Submission in the Holy Qur'an between Choice and Coercion: A Linguistic and Semantic Study. *Wasit Journal for Human Sciences*, *22*(4/Pt2). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss4/Pt2.2359

ABSTRACT

This study examines the concept of submission in the Holy Qur'an from a linguistic and semantic perspective, aiming to reveal the nature of this concept and the diversity of its semantic levels according to the Qur'anic contexts in which it occurs. The study begins by examining the lexical root kh-ḍ-ʿ (khaḍaʿa) in Arabic dictionaries and then traces Qur'anic terms related to submission, particularly khushūʿ (humility and submissiveness), sujūd (prostration), qunūt (devotion and obedient submission), and islām (submission), in order to identify the points of semantic convergence and divergence among them. Particular attention is given to distinguishing voluntary submission, which is based on awareness, free will, and obedience, from coercive or involuntary submission resulting from divine power, the awe of the Hereafter, or the compelling force of the laws governing creation. The analysis demonstrates that the Qur'an does not present submission as a single, fixed meaning; rather, its meaning varies according to the agent, context, and communicative situation. Submission may constitute a voluntary act signifying faith, surrender, and obedience, while it may also represent a state of compulsion that does not necessarily express inner faith. Accordingly, the study highlights the semantic distinction between a human being's voluntary submission to God in this world, the submission of created beings to the divine laws governing existence, and submission arising from coercion or from the disclosure of ultimate truth in the Hereafter.

الخضوع والتسليم في القرآن الكريم: دراسة لغوية دلالية

م.د. علي كاظم حسين
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية

المُستخلص

يتناول هذا البحث مفهوم الخضوع في القرآن الكريم من منظور لغوي دلالي، بهدف الكشف عن طبيعته وتنوع مستوياته وفق السياقات القرآنية. وينطلق من دراسة مادة «خضع» في المعاجم العربية، ثم يتتبع الألفاظ ذات الصلة، ولا سيما الخشوع والسجود والقنوت والإسلام، لبيان أوجه التقارب والاختلاف الدلالي بينها، ويركز البحث على التمييز بين الخضوع الاختياري القائم على الوعي والإرادة والطاعة، والخضوع الإكراهي الناتج عن سلطان القدرة الإلهية أو رهبة الموقف الأخروي أو قهر السنن الكونية. ويكشف التحليل أن الخضوع في القرآن ليس معنى واحدًا ثابتًا، بل تتعدد دلالاته بحسب الفاعل والسياق والمقام؛ فقد يعبر عن الإيمان والتسليم والطاعة، وقد يدل على حالة قهرية لا تستلزم الإيمان القلبي. كما يبرز البحث الفروق الدلالية بين خضوع الإنسان لله اختيارًا في الدنيا، وخضوع الموجودات للسنن الإلهية، والخضوع الناشئ عن الإكراه أو انكشاف الحقيقة في الآخرة، بما يسهم في توضيح أبعاد المفهوم.

الكلمات المفتاحية: علم المعاني، الشرح الحديثي، الآليات البلاغية، استراتيجيات الخطاب، فتح الباري

المقدمة

يمثل الخضوع أحد المفاهيم الدالة على علاقة الإنسان بربه، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى بألفاظ متعددة تتفاوت في دلالاتها بحسب السياق، منها: الخضوع، والخشوع، والسجود، والقنوت، والإسلام. ولا يمكن التعامل مع هذه الألفاظ بوصفها مترادفات تامة؛ لأن لكل لفظ منها خصوصية دلالية تكشف جانبًا معينًا من علاقة المخلوق بالخالق.

وتنبع أهمية دراسة الخضوع في القرآن الكريم من أن هذا المفهوم يقع في منطقة دلالية مشتركة بين الإرادة والإكراه؛ فالإنسان قد يخضع لله تعالى اختيارًا، انطلاقًا من الإيمان والوعي والتسليم، وقد يقع الخضوع في بعض السياقات بمعنى القهر والانقياد الذي لا يتوقف على إرادة الإنسان. ويظهر هذا التمييز بوضوح في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (الرعد: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران: ٨٣).

وتكمن مشكلة البحث في تحديد الحدود الدلالية بين الخضوع الاختياري والخضوع الإكراهي، وبيان ما إذا كان الخضوع في جميع موارده القرآنية يدل على معنى واحد، أم أن السياق القرآني ينقله من معنى الإرادة والطاعة إلى معنى القهر والانقياد.

ويهدف البحث إلى بيان الأصل اللغوي لمادة "خضع"، والكشف عن دلالتها في القرآن الكريم، وتمييز الخضوع الاختياري من الخضوع الإكراهي، وبيان صلة الخضوع بالألفاظ القرآنية القريبة منه، ولا سيما الخشوع والسجود والإسلام.

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال الجمع بين المعالجة المعجمية والتحليل الدلالي للآيات، والاستفادة من كتب اللغة والتفسيرفي تحديد الفروق الدقيقة بين الاستعمالات القرآنية.

كما جاء البحث في تمهيد ومبحثين، تناول التمهيد التأصيل اللغوي والدلالي للخضوع، وخصص المبحث الأول للخضوع الاختياري، في حين تناول المبحث الثاني الخضوع الإكراهي والفارق الدلالي بين النوعين.

التمهيد

التأصيل اللغوي والدلالي لمفهوم الخضوع

أولًا: الخضوع في اللغة

إن ترجع مادة "خضع" إلى معنى اللين والانقياد والتذلل. يقول ابن منظور: "الخضوع: اللين والانقياد والتذلل" وخضع يخضع خضوعًا إذا لأن وانقاد (ابن منظور، ١٩٨٠، ج٢، ص. ٨٥٨). ويدل هذا الأصل على أن الخضوع يتضمن عنصرين أساسيين: اللين والانقياد. ويؤكد ابن فارس أن مادة "خضع" تدور حول معنى الانحناء واللين والانقياد، وهو ما يجعل الخضوع في أصله اللغوي حالة تنتقل فيها الذات من الاستعلاء إلى الانقياد.

وعليه، فإن الخضوع لا يدل في ذاته على الإكراه؛ لأن الانقياد قد يكون ناتجًا عن إرادة واختيار، وقد يكون نتيجة قهر وسلطان. ومن هنا يمكن القول إن الإكراه وصف لطريقة حدوث الخضوع، وليس جزءًا لازمًا من أصل معناه اللغوي.

وهذه الملاحظة مهمة في دراسة الاستعمال القرآني؛ لأن اللفظ الواحد قد يدل على الانقياد مع اختلاف السبب: فقد يكون الانقياد ناشئًا عن الإيمان والرضا، وقد يكون ناشئًا عن القهر أو انكشاف القدرة.

ثانيًا: الخضوع والألفاظ القريبة منه

يتصل مفهوم الخضوع في القرآن الكريم بمجموعة من الألفاظ، إلا أن هذه الألفاظ ليست مترادفة ترادفًا مطلقًا.

فـ"الإسلام" يدل على التسليم والانقياد، وقد ذكر الطباطبائي أن الإسلام هو التسليم والانقياد لما يريده الله سبحانه من عبده (الطباطبائي، ١٩٧٣، ج١، ص. ٢٦٤).

أما "الخشوع" فيتصل بالخضوع الباطني وما يصاحبه من سكون وتذلل، وقد عرّف الراغب الأصفهاني الخشوع بأنه "الضراعة والسكون مع التذلل" (الأصفهاني، ١٩٩٢، ص. ٢٨٦).

وأما السجود فيتضمن معنى التذلل والانقياد، وقد ذكر ابن فارس أن مادة "سجد" تدل على التذلل والخضوع (ابن فارس، ١٩٧٩، ج٣، ص. ٩٠).

وبعد يمكن التمييز بين هذه الألفاظ دلاليًا؛ فالخضوع أعم من جهة الانقياد، والخشوع أقرب إلى الجانب النفسي والقلبي، والسجود يمثل صورة ظاهرة من صور التذلل، أما الإسلام فيتضمن معنى التسليم والانقياد لله تعالى.

ثالثًا: دلالة الخضوع بين الطواعية والقهر في أطار الاستعمال اللغوي والمعجمي

يدلّ الجذر (خ ض ع) في أصل وضعه اللغوي على التطامن والتذلل ولين الجانب، وهو معنى يتصل بهيئة الخاضع وسلوكه في مقابل العلو والاستعلاء. وقد جاء في مقاييس اللغة أن الخاء والضاد والعين أصلٌ يدل على التطامن والتواضع، ومنه الخضوع؛ لأنه انحناء وتذلل. كما يربط لسان العرب بين الخضوع وبين التذلل، فيقال: خضع له يخضع خضوعًا، أي تذلل له. ومن ثمّ فإن الدلالة الأصلية للخضوع لا تقتصر على مجرد الطاعة، وإنما تتضمن معنى انخفاض المنزلة أو الهيئة أمام سلطة أو قوة أو متعلَّقٍ يتوجه إليه الخضوع (ابن فارس، ١٩٧٩، ج٢، ص. ١٩٥؛ ابن منظور، د.ت، ج٨، ص. ٧٢).

وتكشف هذه الدلالة المعجمية أن مفهوم الخضوع قابل لأن يتحقق بطريقتين مختلفتين من حيث مصدر الانقياد وكيفية تحققه؛ فقد يكون ناشئًا عن إرادة الخاضع وقصده، فيكون خضوعًا اختياريًا، وقد يكون ناشئًا عن سلطان قوة خارجية لا يستطيع الخاضع دفعها أو الانفكاك عنها، فيكون خضوعًا قهريًا. وعلى هذا الأساس، لا يدل لفظ الخضوع في ذاته على الإكراه أو الاختيار دلالة مطلقة، وإنما تتحدد كيفية الخضوع بالنظر إلى السياق والعامل المؤثر في حدوثه.

ومن الناحية الدلالية، يمكن ملاحظة أن الخضوع الاختياري يرتبط بمجموعة من المعاني القريبة من التذلل والتواضع والطاعة والتسليم؛ إذ يكون الفعل صادرًا عن إرادة وقصد. أما الخضوع القهري فيتجه إلى معنى الانقياد والانفعال أمام قوة لا يملك الخاضع دفعها، ولذلك قد يتحقق الخضوع الظاهر من غير أن يستلزم ذلك موافقة باطنية أو اعتقادًا قلبيًا. ويظهر الفرق بين المستويين في أن الأول يقوم على إرادة الخاضع، في حين يقوم الثاني على سلطان المؤثر الخارجي.

ويؤكد الاستعمال القرآني هذا التمايز في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (آل عمران: ٨٣). فالفعلان «طوعًا» و"كرهًا" يمثلان قيدين دلاليين يحددان كيفية وقوع الانقياد، ويكشفان أن الإسلام هنا بمعنى الانقياد لله تعالى قد يقع من بعض الموجودات على سبيل الطواعية، وقد يقع من بعضها الآخر على سبيل القهر والاضطرار. وقد بيّن الطبري أن معنى الآية يتصل بانقياد الخلق لله تعالى، فمنهم من أسلم طائعًا مختارًا، ومنهم من انقاد على غير إرادة منه (الطبري، ٢٠٠٠، ج٦، ص. ٥٥٩).

ويؤدي هذا الاستعمال إلى نتيجة لغوية مهمة، وهي أن الانقياد أوسع دلالة من الاختيار؛ إذ يمكن أن يجتمع الانقياد مع الإرادة، كما يمكن أن يتحقق مع انتفائها أو عجز صاحبها عن المخالفة. ومن هنا يمكن فهم الخضوع بوصفه نتيجة دلالية مشتركة، تتعدد طرائق تحققها بحسب حال الخاضع والجهة التي يقع لها الخضوع.

ويتضح ذلك أيضًا من ملاحظة العلاقة بين الخضوع والتطامن في المعنى المعجمي؛ فالتطامن قد يكون مقصودًا من صاحبه تعبيرًا عن التواضع، وقد يكون نتيجة طبيعية لوقوعه تحت سلطان أقوى منه. ولذلك فإن الاشتراك في المظهر الخارجي لا يعني بالضرورة الاشتراك في الدافع الداخلي. فقد يخفض الإنسان جناحه تواضعًا واختيارًا، وقد ينحني تحت تأثير قوة قاهرة، مع أن الصورة الخارجية في الحالتين قد تبدو متقاربة.

وعليه، فإن الدلالة اللغوية لمادة (خ ض ع) تسمح بالتمييز بين الخضوع بوصفه هيئةً أو حالةً من التذلل والانقياد، وبين الدافع الذي أنشأ هذه الحالة؛ فالأول يمثل الدلالة المركزية للمادة، أما الاختيار والإكراه فيمثلان قيدين سياقيين يحددان كيفية تحققها. وهذا التفريق مهم في دراسة الخضوع في القرآن الكريم؛ لأن حمل اللفظ على معنى واحد ثابت، كالإكراه أو الطاعة، يؤدي إلى إغفال الفروق الدقيقة التي يكشف عنها السياق القرآني.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن الخضوع الاختياري هو انقياد يقوم على الإرادة والوعي والقصد، ولذلك يقترب دلاليًا من الطاعة والتسليم والتواضع، في حين أن الخضوع القهري هو انقياد تفرضه القوة أو القدرة أو طبيعة الوجود، ولذلك يقترب من معاني الاضطرار والانقياد والعجز عن المخالفة. وليس معنى ذلك أن القهر داخل في أصل مادة «خضع»؛ بل هو كيفية من كيفيات تحقق الخضوع يحددها السياق والقرائن المصاحبة.

ومن ثمّ، فإن التقابل بين الاختيار والإكراه لا ينبغي أن يُفهم على أنه تقابل بين معنيين معجميين للفظ «الخضوع»، وإنما هو تقابل في طريقة تحقق المعنى الخضوعي: أهو صادر عن إرادة الخاضع، أم واقع عليه بفعل قوة تتجاوز قدرته على الامتناع؟ وبذلك يحافظ التحليل على الأصل المعجمي للمادة، ويجعل السياق القرآني هو الذي يكشف عن القيد الدلالي المصاحب للخضوع.

المبحث الأول:

الخضوع الاختياري في القرآن الكريم

المطلب الأول: الخضوع الاختياري بوصفه تسليمًا لله

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٦).

تجمع الآية بين النهي عن عبادة غير الله والأمر بالإسلام لله، وفي ذلك انتقال من رفض الخضوع لغير الله إلى إثبات الخضوع لله تعالى. فالعبادة في أصلها اللغوي متصلة بالخضوع والتذلل، إذ يقول ابن فارس إن مادة "عبد" أصل صحيح يدل على خضوع وذل (ابن فارس، ١٩٧٩، ج٤، ص. ٢٠٥).

أما قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيتضمن دلالة صريحة على الخضوع الاختياري القائم على الأمر والاستجابة. وقد بيّن الطبرسي أن معنى "أسلم" هو أخلص العبادة لله وأذعن له بالطاعة (الطبرسي، ١٩٩٥، ج٨، ص. ٥٣٩).

ومن ثم فإن الخضوع في هذه الآية ليس خضوعًا قهريًا، وإنما هو تسليم إرادي قائم على المعرفة والبرهان؛ لأن الآية سبقت الأمر بالإسلام بقوله تعالى: ﴿لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي﴾، فارتبط الخضوع بالبينات والإدراك.

المطلب الثاني: الخضوع الاختياري في قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (النساء: ١٢٥).

تدل الآية على أن حقيقة الدين الحسن تقوم على تسليم الإنسان نفسه لله تعالى. وقد فسّر الطبري "أسلم وجهه" بمعنى أخلص لله عبادته (الطبري، ٢٠٠٠، ج٩، ص٣٣١).

والوجه هنا ليس المقصود به الجارحة وحدها، وإنما الذات والقصد؛ فقد ذكر ابن منظور أن الوجه قد يستعمل ويراد به الذات (ابن منظور، ١٩٩٤، ج١٣، ص٥٥٥). وبذلك فإن "إسلام الوجه" يدل دلاليًا على توجيه الذات كلها إلى الله تعالى.

وتؤكد الآية أن الخضوع الاختياري لا يقتصر على موقف داخلي، وإنما يظهر في العمل؛ إذ قرنت بين ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ و﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ و﴿اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾. فالبنية الدلالية للآية تنتقل من التسليم الداخلي إلى السلوك العملي ثم إلى الاتباع.

المطلب الثالث: الخضوع القلبي ودلالته في مفهوم الخشوع

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ (آل عمران: ١٩٩). يمثل الخشوع في هذه الآية صورة من صور الخضوع الباطني؛ إذ جاء وصفًا لفئة آمنت بالله وما أنزل من الوحي، ثم وصفها القرآن بالخشوع لله.

والخشوع أخص من الخضوع من جهة اتصاله بالحالة النفسية؛ فقد عرّفه الراغب الأصفهاني بأنه الضراعة والسكون مع التذلل (الأصفهاني، ١٩٩٢، ص٢٨٦).

وتكشف الآية أن الخضوع الاختياري لا يتحقق بمجرد التلفظ بالإيمان، بل يتجسد في حالة قلبية يظهر أثرها في السلوك، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. ولذلك فإن الخشوع هنا يمثل خضوعًا اختياريًا باطنيًا يقوم على الإيمان والإذعان للحق.

المبحث الثاني:

الخضوع الإكراهي والقهري في القرآن الكريم

المطلب الأول: الخضوع القهري في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران: ٨٣).

تعد هذه الآية من أهم الآيات في موضوع البحث، لأنها تجمع صراحة بين "طوعًا" و"كرهًا"، وتكشف عن مستويين مختلفين من الانقياد.

وقد ذكر الطبري أن معنى الآية أن من أهل السماوات والأرض من أسلم طائعًا، ومنهم من انقاد كارهًا (الطبري، ٢٠٠٠، ج٦، ص. ٥٥٩). وبيّن الطبرسي أن الإسلام هنا يتضمن الانقياد لأمر الله تعالى، سواء حصل ذلك على جهة الطوع أو الكره (الطبرسي، ١٩٩٥، ج٢، ص. ٤٨١).

ومن الناحية الدلالية، فإن مقابلة "طوعًا" بـ"كرهًا" تنقل مفهوم الخضوع من مجرد الانقياد إلى كيفية الانقياد؛ فالخضوع الاختياري يرتبط بالرضا والاستجابة، أما الخضوع الإكراهي فيرتبط بانعدام القدرة على المخالفة في بعض مجالات الوجود.

ومن هنا لا يصح القول إن كل خضوع في القرآن هو خضوع إيماني؛ لأن الآية نفسها تميز بين الخضوع الطوعي والخضوع الكرهي.

المطلب الثاني: الإكراه وإمكان إلجاء الإنسان إلى الخضوع

قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: ٤).

تقدم هذه الآية نموذجًا مهمًا لفهم الفرق بين الخضوع الاختياري والإكراه؛ فالآية تفترض إمكان إنزال آية قاهرة تؤدي إلى خضوع المخاطبين، لكنها عبّرت عن ذلك بصيغة الشرط: ﴿إِنْ نَشَأْ﴾، أي إن الأمر متعلق بالمشيئة الإلهية.

والخضوع في قوله تعالى: ﴿خَاضِعِينَ﴾ يدل على الانقياد والذل؛ فالخضوع في اللغة هو اللين والانقياد والتذلل (ابن منظور، ١٩٨٠، ج٢، ص. ٨٥٨).

أما قوله تعالى: ﴿أَعْنَاقُهُمْ﴾ فقد استعمل العنق للدلالة على الإنسان كله من خلال ذكر الجزء وإرادة الكل، كما أن خضوع العنق صورة محسوسة للخضوع والانقياد (ابن منظور، ١٩٩٤، ج١٠، ص. ٢٦٦).

وتكشف الآية دلاليًا عن إمكان الإكراه على الخضوع الظاهر، لكنها لا تجعل الإكراه طريقًا إلى الإيمان الاختياري؛ فمجرد خضوع الأعناق لا يعني بالضرورة تحول القلوب إلى الإيمان. ولهذا فالأدق في تحليل الآية أن يقال: إنها تثبت إمكان حصول الخضوع القهري، ولا يصح جعلها دليلًا على أن الإكراه هو نتيجة حتمية لرفض الخضوع الاختياري.

المطلب الثالث:

الخشوع في السياق الأخروي بين الدلالة اللغوية والقهر السياقي

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (الغاشية: ٢). تكشف الآية عن استعمال دلالي للفظ "خاشعة" يرتبط بحالة من الذل والانكسار والسكون التي تظهر على الوجوه في سياق المشهد الأخروي. ومن الناحية اللغوية، ترجع مادة «خَشَعَ» إلى معنى التذلل والتطامن والسكون، قال ابن فارس: "الخاء والشين والعين أصلٌ واحدٌ يدل على التذلل والتطامن"، ومنه الخشوع في الصلاة؛ لما فيه من السكون والتذلل (ابن فارس، ١٩٧٩، ج٢، ص. ١٨٠).

ويتضح من البنية اللغوية في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ أن "خاشعة" اسم فاعل من الفعل "خَشَعَ"، وقد أُسند الخشوع إلى "لوجوه"، وهو إسناد يكشف عن ظهور أثر الحالة النفسية على الهيئة الظاهرة للإنسان. فالخشوع هنا لا يدل على مجرد السكون الحسي، بل يتضمن معنى الذل والانكسار والتطامن، وهي معانٍ تتضافر في تشكيل الدلالة السياقية للفظ.

ويؤكد النظر في المعاجم أن مادة «خشع» تتسع لمعانٍ متقاربة، منها السكون والتذلل والتطامن وخفض البصر والصوت، وهذه المعاني يجمعها قدر دلالي مشترك يتمثل في الانخفاض والانكسار والسكون. ومن ثم فإن دلالة الخشوع في الآية تتجاوز المعنى الحسي المباشر إلى دلالة معنوية تظهر آثارها على الوجوه.

كما أن اقتران لفظ "خاشعة" بالظرف "يومئذ" وبالسياق الأخروي يحدد دلالته ويصرفها عن الخشوع التعبدي الاختياري المعروف في سياقات العبادة. فاللفظ من حيث أصله اللغوي واحد، غير أن السياق هو الذي يحدد نوع الخشوع ووجه دلالته؛ إذ يدل هنا على حالة من الذل والانكسار الناشئة عن هول الموقف، لا على خشوع تعبدي قائم على إرادة الإنسان واختياره.

وعليه، فإن الاستعمال القرآني للفظ "الخاشعة" في هذه الآية يكشف عن قابلية مادة "خشع" للتنوع الدلالي بحسب السياق؛ فالمعنى المركزي للمادة هو السكون والتذلل والانخفاض، بينما تتحدد صفة الاختيار أو الاضطرار من خلال السياق الذي يرد فيه اللفظ. وبذلك يمثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ شاهدًا لغويًا على ورود الخشوع في سياق قهري، مع بقاء الصلة قائمة بالمعنى الأصلي للمادة.

المبحث الثالث

الفروق الدلالية بين الخضوع الاختياري والإكراهي

المطلب الأول: الفروق من حيث السبب

يختلف الخضوع الاختياري عن الخضوع الإكراهي من جهة السبب.

فالخضوع الاختياري ينشأ عن المعرفة والإيمان والإرادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، في حين أن الخضوع الإكراهي ينشأ عن القهر أو انكشاف القدرة أو مواجهة الجزاء.

ومن هنا يمكن القول إن الإرادة هي العنصر الفارق بين النوعين؛ فإذا كان الانقياد صادرًا عن إرادة ووعي فهو خضوع اختياري، وإذا انتفت القدرة على الامتناع أو أصبح الانقياد نتيجة لقهر خارج عن الإرادة فهو خضوع إكراهي.

المطلب الثاني: الفروق من حيث الدلالة النفسية

الخضوع الاختياري يرتبط غالبًا بمعاني المحبة والرضا والإيمان والتسليم، ولذلك يظهر في القرآن مقرونًا بالإسلام والخشوع والطاعة.

أما الخضوع الإكراهي فيرتبط بمعاني القهر والرهبة والذل وانكشاف الحقيقة.

ولهذا فإن القرآن لا يجعل مجرد الخضوع الظاهر دليلًا كافيًا على صدق الإيمان؛ لأن الخضوع قد يكون حركيًا أو كونيًا أو اضطراريًا، في حين أن الإيمان يتطلب استجابة قلبية واختيارية.

المطلب الثالث: الخضوع بوصفه ظاهرة دلالية متعددة المستويات

يكشف الاستقراء القرآني أن الخضوع ليس مفهومًا أحادي الدلالة، وإنما هو مفهوم متعدد المستويات:

١- خضوع اختياري ديني، يقوم على الإيمان والطاعة.

٢- خضوع قلبي، يمثله الخشوع.

٣- خضوع سلوكي، يظهر في العبادة والسجود.

٤- خضوع كوني، يتمثل في انقياد الموجودات للسنن الإلهية.

٥- خضوع إكراهي، يحدث عند القهر أو انتفاء القدرة على المخالفة.

٦- خضوع أخروي، يظهر في الذل والانكسار أمام الجزاء.

وهذا التنوع لا يعني تعدد المفهوم بصورة منفصلة، وإنما يدل على وجود نواة دلالية مشتركة هي الانقياد والتذلل، ثم يحدد السياق القرآني نوع هذا الانقياد وسببه ودرجته.

الخاتمة

يتضح من خلال الدراسة أن مفهوم الخضوع في القرآن الكريم يقوم على نواة دلالية مركزها الانقياد واللين والتذلل، وهي الدلالة التي تثبتها المعاجم العربية لمادة «خضع» (ابن منظور، ١٩٨٠، ج٢، ص. ٨٥٨).

كما تبين أن القرآن الكريم لا يستعمل الخضوع بمعنى واحد، وإنما ينوّع دلالته بحسب السياق؛ فقد يكون خضوعًا اختياريًا قائمًا على الإيمان والتسليم والطاعة، وقد يكون خضوعًا إكراهيًا ناشئًا عن القهر أو انكشاف القدرة أو مواجهة الجزاء.

وتكشف المقابلة القرآنية بين ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (آل عمران: ٨٣) عن أن الاختيار والإكراه يمثلان عنصرين دلاليين مهمين في تحديد طبيعة الخضوع؛ فالطوع يدل على صدور الانقياد عن إرادة، في حين يدل الكره على حصوله مع عدم الرضا أو مع انتفاء القدرة على الامتناع.

كما أن الخضوع الاختياري يتصل في القرآن بالإسلام والعبادة والخشوع والإحسان، كما في قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (النساء: ١٢٥)، بينما يظهر الخضوع الإكراهي في سياقات أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: ٤).

ويتضح كذلك أن الخشوع يمثل صورة أكثر خصوصية من الخضوع؛ لأنه يتصل بالحالة النفسية والقلبية، ولذلك يمكن أن يكون اختياريًا محمودًا في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ (آل عمران: ١٩٩)، وقد يكون اضطراريًا في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (الغاشية: ٢).

وبذلك يثبت البحث أن الفرق بين الخضوع الاختياري والإكراهي ليس فرقًا في أصل معنى الخضوع، وإنما هو فرق في كيفية تحقق الانقياد وسببه ومرجعيته النفسية والسياقية؛ فالنواة الدلالية واحدة، وهي الانقياد، بينما يتحدد نوع الخضوع بحسب حضور الإرادة أو غيابها.

النتائج:

١.تكشف الدراسة أن الجذر اللغوي "خضع" يدور في أصل دلالته حول معاني اللِّين والانقياد والتذلل، وأن الإكراه ليس عنصرًا أصيلًا في بنيته الدلالية، وإنما يتحدد حضوره من خلال السياق والاستعمال.

٢. تبين أن الخضوع في القرآن الكريم ذو دلالة سياقية متعددة، تتنوع معانيه بحسب المقام الذي يرد فيه، فلا يصح اختزاله في دلالة واحدة ثابتة أو حمل جميع موارده القرآنية على معنى دلالي موحّد.

٣.يظهر الاختيار بوصفه معيارًا دلاليًا أساسًا في التمييز بين أنماط الخضوع؛ فالخضوع الاختياري يقوم على الإرادة والقصد، في حين يرتبط الخضوع الإكراهي بانتفاء القدرة على الامتناع أو الخروج عن سلطان القهر.

٤.يتضح أن الخشوع يمثل نمطًا دلاليًا خاصًا من الخضوع، يتصل أساسًا بالحالة النفسية والباطنية، ويكتسب دلالته الدقيقة من السياق الذي يرد فيه، مما يجعله أخصّ من مطلق الخضوع في بعض الاستعمالات.

٥.تؤكد الدراسة أن السياق القرآني هو المحدِّد الأبرز للدلالة النهائية للخضوع؛ إذ يكشف عن نوعه ودرجته ووظيفته الدلالية، ولا تكفي الدلالة المعجمية المجردة وحدها في تفسير الاستعمال القرآني وتحديد أبعاده.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. (١٩٩٩). البحر المحيط في التفسير. تحقيق صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

الحميد، صباح عبد الحسن صابط، ٢٠٢٦، اللين في القران الكريم: دراسة براغماتية للغة الأنبياء عند مخاطبة أقوامهم ب " يا قوم، وزارة التربية العراقية/مديرية تربية القادسية

DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss2.1232

ابن فارس، أحمد بن فارس. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر.

٤.ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. تحقيق سامي بن محمد سلامة. ط٢. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٨٠). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

.ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. (١٩٩١). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر.

الأصفهاني، الراغب. (١٩٩٢). مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق صفوان عدنان داوودي. دمشق: دار القلم.

الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٩٢). دلائل الإعجاز. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (٢٠٠٠). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي.١٠.الزمخشري، محمود بن عمر. (١٩٨٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط٣. بيروت: دار الكتاب العربي.

الطباطبائي، محمد حسين. (١٩٧٣). الميزان في تفسير القرآن. ط٣. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطبرسي، الفضل بن الحسن. (١٩٩٥). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل آي القرآن. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

لقرطبي، محمد بن أحمد. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (١٩٨٧). مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

الهاشمي، أحمد. (١٩٩٩). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: المكتبة العصرية.

طنطاوي، محمد سيد. (١٩٩٨). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار نهضة مصر.

References

The Holy Qur'an.

Abu Hayyan al-Andalusi, Muhammad ibn Yusuf. (1999). Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir. Edited by Sidqi Muhammad Jamil. Beirut: Dar al-Fikr.

Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir. Tunis: Tunisian Publishing House.

Ibn Faris, Ahmad ibn Faris. (1979). Mu'jam Maqayis al-Lughah. Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun. Beirut: Dar al-Fikr

Al-Hamid, Sabah Abdul-Hassan Sabit, 2026, Gentleness in the Holy Quran: A Pragmatic Study of the Language of Prophets When Addressing Their People as "O My People" (Ya Qawm), Iraqi Ministry of Education / Al-Qadisiyah Education Directorate.

DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss2.1232

Ibn Kathir, Ismail ibn Umar. (1999). Tafsir al-Qur'an al-Azim. 2nd ed. Edited by Sami ibn Muhammad Salamah. Riyadh: Dar Taybah for Publishing and Distribution.

Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram. (1980). Lisan al-Arab. Cairo: Dar al-Ma'arif.

Ibn Hisham al-Ansari, Abdullah ibn Yusuf. (1991). Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib. Edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid. Beirut: Dar al-Fikr.

Al-Isfahani, al-Raghib. (1992). Mufradat Alfaz al-Qur'an. Edited by Safwan Adnan Dawudi. Damascus: Dar al-Qalam.

Al-Jurjani, Abd al-Qahir. (1992). Dala'il al-I'jaz. Edited by Mahmud Muhammad Shakir. Cairo: Maktabat al-Khanji.

Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad ibn Umar. (2000). Mafatih al-Ghayb (Al-Tafsir al-Kabir). Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

Al-Zamakhshari, Mahmud ibn Umar. (1987). Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil. 3rd ed. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.

Al-Tabataba'i, Muhammad Husayn. (1973). Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an. 3rd ed. Beirut: Mu'assasat al-A'lami lil-Matbu'at.

Al-Tabrisi, al-Fadl ibn al-Hasan. (1995). Majma' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an. Beirut: Mu'assasat al-A'lami lil-Matbu'at.

Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (2000). Jami' al-Bayan fi Ta'wil Ay al-Qur'an. 1st ed. Edited by Ahmad Muhammad Shakir. Beirut: Mu'assasat al-Risalah.

Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. (1964). Al-Jami' li Ahkam al-Qur’an. 2nd ed. Edited by Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfish. Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyah.

Al-Sakkaki, Yusuf ibn Abi Bakr. (1987). Miftah al-Ulum. 2nd ed. Edited by Na'im Zarzur. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Hashimi, Ahmad. (1999). Jawahir al-Balaghah fi al-Ma'ani wa al-Bayan wa al-Badi'. Beirut: Al-Maktabah al-Asriyyah.

Tantawi, Muhammad Sayyid. (1998). Al-Tafsir al-Wasit lil-Qur’an al-Karim. Cairo: Dar Nahdat Misr